

أساليب السياسة الإدارية البريطانية في جنوب السودان 1899م-1920م الإرساليات التبشيرية أموزجا

أ : عطيات البشير

جامعة عمار ثلجي الأغواط (الجزائر)

الملخص:

بعد أن استطاعت بريطانيا أن تفرض سيطرتها على السودان من خلال تطبيق اتفاقية الحكم الثنائي على السودان سنة 1899م، هذه الاتفاقية التي منحت السلطة الفعلية لبريطانيا دون مصر رغم اشتراكهما في حكم السودان، وسعت بريطانيا منذ البداية إلى تكريس حالة الانفصال والتجزئة بين مصر والسودان من جهة وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى، ومن بين أساليبها المتبعة للعمل على انفصال جنوب السودان، تشجيعها للإرساليات المسيحية لارتداد الجنوب واستيطانه وكان معظمهما من الأمريكيين والأوروبيين لغرض التبشير للدين المسيحي، كما عملت هذه الإرساليات على فرض سيطرتها على التعليم ومناهجه.

Abstract:

After Britain was able to impose its control over Sudan through the application of the condominium agreement on Sudan in 1899 AD, this agreement that granted Britain effective authority without Egypt despite their participation in the rule of Sudan, and Britain sought from the beginning to consecrate the state of separation and division between Egypt and Sudan on the one hand and between North and South on the other hand, and among its methods used to work on the secession of southern Sudan, is its encouragement for Christian missionaries to travel and settle in the South, most of them were Americans and Europeans for the purpose of preaching the Christian religion, and these missionaries also worked to impose their control on education and its curricula.

المقدمة:

عندما ثبت الحكم الثنائي الإنجليزي المصري ركائزه في السودان سنة 1899م، ظهرت سياسة حكومة الخرطوم الجديدة التي كان يسيطر عليها بالطبع الجانب البريطاني من خلال فرض إرادته السياسية على الجانب المصري، هذا الأخير الذي لم يكن له من الودود في السودان سوى بعض الإداريين والجنود الذين يأترون بالضباط الإنجليزي، وقد ركز الحكام العامون الذين مروا على حكم السودان تجاه جنوب السودان على ركيزتين أساسيتين تمثلت الأولى في إضعاف الوجود العربي، بحجة أن هذا الوجود يسبب المشاكل بين الطرفين، وذلك لأن الجنوبيين لا يمكن أن يروا في الشماليين غير أنهم تجار رقيق وهذا الأمر دفعهم لوصف الشماليين بالجلابة أما الثانية فتمثلت في محاولة إضعاف أو محو الثقافة العربية بأي طريقة وذلك بإحلال اللغة الإنجليزية محلها كلغة عامة ومحاولة نشر اللهجات المحلية والاهتمام بها أكثر من العربية، وجعلها لغة تدريس، كما عمل الإنجليزي على الحيلولة دون نشر الإسلام، وهذا الأمر كان من اختصاص الإرساليات التبشيرية التي خصص البعض منها حل مهامه لهذا العمل، وهذا ما سنحاول التطرق إليه في هذه الورقة البحثية.

1- الإرساليات التبشيرية في جنوب السودان:

استغل المبشرون ومن يساندهم الأوضاع التي كتان يعيشها ابتداء السودان آنذاك والتي تجلت بالافتقار إلى اسط مقومات الحياة فضلا عن الطابع القبلي، لتندك بدأ المبشرون ممارسة نشاطهم فتي بلاد السودان منذ أواخر القرن الثالث الميلادي وتواصل توافدهم فأنشأوا

الكناس في جهات متعددة من البلاد، وبدأت المرحلة الحاسمة من مراحل دخول المسيحية إلى هذه المنطقة في عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان والإمبراطورة ثيودوار زوجة الإمبراطور يوستيناس سنة 525م-565م⁽¹⁾ عندما أرسلت الإمبراطورة مبشرين إلى ممالك النوبة ومملكة نوباتيا حيث أرسلت لها الكاهن يوليانوس⁽²⁾ وكذلك أرسلت مبشرين إلى كل من مملكة مقرة، ومملكة علوة⁽³⁾ وقد بدأ تحول السكان في هذه المناطق من الديانة الوثنية إلى المسيحية بعد أن دخل ملوكهم وحكامهم في هذا الدين الجديد، وبعد سنة 577م حول الرومان هيكل الآلهة إيزس إلى كنيسة وأقاموا فيها الطقوس المسيحية، وبعد ذلك أخذت المسيحية تنتشر بسرعة في بلاد النوبة آنذاك، واعتنق عدد من السودانيين المذهب يعقوبي التابع لكنيسة الإسكندرية، ولم يكن فهم السودانيين في ذلك الوقت عميقا، ولم تكن الديانة الجديدة واضحة ومفهومة لديهم، وكان فهم أهالي مقرة للمسيحية أقوى من أهالي مملكة علوة، وذلك بسبب قرب مملكة مقرة من مصر مما سهل عملية التواصل مع المبشرين الذين يقدمون إليهم من مصر، أما مملكة علوة فكانت بعيدة عن مركز الدعوة الروحي وانقطاع

وصول القساوسة ورجال الدين الأقباط إليهم ولذلك كان انتشار الإسلام في مملكة علوة أسرع منه في مملكة مقرة لأنها لم تتأثر بنشاط المبشرين بالمسيحية، أما في العصر الحديث فقد اهتم المبشرون بنشر المسيحية في أنحاء إفريقيا المختلفة، وبدأ اهتمامهم بالسودان بشكل واسع إبان حكم محمد علي باشا لمصر (1805م-1848م) ولذلك عد المبشرون تدخل محمد علي باشا في السودان علامة بارزة في تاريخ المسيحية في السودان فبدأوا يعطونه اهتماما أكبر خاصة المبشرين البريطانيين والفرنسيين الذين أنشأوا مراكزهم في شرق إفريقيا، وكانوا يسعون إلى مد نفوذهم إلى وادي النيل، فقد أرسل الأب غريغوري السادس عشر (1831م-1846م) إرسالية إفريقيا الوسطى للخرطوم سنة 1846م⁽⁴⁾ كما أن المبشر الإيطالي مانسوري كان من الأوائل الذين وصلوا للسودان في جويلية 1843م وبني كنيسة كاثوليكية في الخرطوم ثم وصل إلى أعالي النيل في جنوب السودان ومارس نشاطه هناك بين أبناء قبيلة الشلك، وقد وضع أول لبنة في بناء حركة التنصير الكاثوليكية في السودان والتي حظيت بالدعم البابوي عندما أرسلت سلطة البابا في فيفري 1848م بعثة تنصيرية إلى هذا الإقليم، كما أنشأ الدكتور كنوبلاخر النمساوي مركزين للتبشير في الجنوب الأول في غندكرو قرب جوبا والثاني في شامي⁽⁵⁾.

حرصت الإرساليات التبشيرية على العمل في جنوب السودان إذ يعيش الناس هناك على الفطرة وعلى الوثنية والعقائد المحلية التي لا تقف عائقا أما مشروعهم التبشيري⁽⁶⁾ كما أن الرحلات الكشفية ساعدت على انتشار التبشير في تلك المناطق.

وفي سنة 1858م قام معهد مازا التبشيري بإيطاليا بتنظيم وتمويل بعثة مسيحية مكونة من خمس مبشرين أقامت مراكزها في جنوب السودان، وأثناء حكم غوردون للمديرية الاستوائية، وجه هذا الأخير رسالة إلى جمعية المبشرين البريطانية يدعوها للعمل في تلك المديرية، وبعد توقيع اتفاقية الحكم الثنائي شجع كرومر المبشرين على العمل داخل السودان، خاصة في جزئه الجنوبي، إذا نشطت الجمعيات التبشيرية في هذا المجال منذ سنة 1900م، وأصبح جنوب السودان مفتوحا أما الإرساليات التبشيرية⁽⁷⁾.

وقد ذكر كرومر قوله "ليس من أغراض الحكومة البريطانية دعوة الناس من الانتقال من مذهب إلى مذهب لا في مملكتها ولا في البلدان التي لها فيها شيء من السلطة والأدلة على ذلك كثيرة ولا سيما في الهند، كما يظهر من سياسة الحكومة فيها من مدة أكثر من قرن فإن أعمال التبشير فيها لا تتجاوز أناسا مخصوصين والحكومة لا تعطيهما أقل إعانة مالية وإنما تطلق الحرية لكل الأديان وتراقب أعمال المبشرين مراقبة تكفل أنهم لا يستخدمون لتنصير غير المسيحيين إلا الوسائل المحللة التي لا اعتراض عليها"⁽⁸⁾.

وفي عام 1903م أصدر الحاكم العام قراراً حدد فيه بأن تكون هنالك منطقة خاصة بكل جمعية تبشيرية تريد العمل في السودان، وذلك على النحو الآتي⁽⁹⁾:

✓ الضفة الغربية للنيل في مديرية أعالي النيل، وهي مخصصة لنشاط الإرسالية الأمريكية وتعرف بالكنيسة الإنجيلية.

✓ الضفة الشرقية للنيل في مديرية أعالي النيل وهي مخصصة لنشاط الإرسالية الكاثوليكية، والتي لها أيضا أغلب المراكز في مديرية بحر الغزال ما عدا رمبيك.

✓ الضفة الغربية في مديرية الاستوائية، وهي مخصصة لنشاط الإرسالية الإنجيلية، وتعرف اليوم بالكنيسة الأسقفية.

✓ الضفة الشرقية في مديرية الاستوائية، والتي كانت تحت إدارة حكومة أوغندا لم يشملها القرار أعلاه.

✓ أما جميع المناطق الواقعة شمال الخط العاشر، وهي السودان الشمالي، فقد وافق الحاكم العام علي أن تحتفظ الإرساليات بالأماكن التي كانت موجودة لديها سابقاً⁽¹⁰⁾.

ويرى عمر البشير أن الحكومة الاستعمارية لم تشجع نشاط المبشرين منذ البداية، ولكنها وافقت على ذلك تحت الضغوط، ومرد ذلك إلى الأسباب التالية⁽¹¹⁾:

○ لم يكن التبشير أو الدعوة المسيحية جزءاً من سياسة الحكومة البريطانية في المستعمرات، حيث كانت الحكومة تلتزم، عادة بالإشراف والمراقبة لعمل جمعيات التبشير لضمان عدم استخدام وسائل غير مشروعة في التبشير للدين المسيحي.

○ كانت سياسة الحكومة البريطانية إزاء النشاط التبشيري في البلدان الإسلامية التابعة لها هي إقناع أبناء هذه البلدان بأن العمل التبشيري ليس من الأدوات التي تستخدمها الحكومة المدنية.

○ أنه من الممكن أن يرتكب المبشرون أخطاء فادحة في الوقت الذي كان فيه المسلمون الشماليون مهيوون تماماً لموجة من الانفعال الديني، كما أن اللورد كرومر كان قد قطع عهداً مع أعيان السودان بعدم التدخل في شؤونهم الدينية.

○ كانت الإدارة البريطانية تخشى من أن يكون السماح بمثل هذه النشاطات التبشيرية مادة تستغلها العناصر الداعية للوحدة الإسلامية بين الموظفين المصريين في السودان لخلق متاعب للحكومة.

○ إن مناطق الجنوب لم يكن قد تم إخضاعها بعد، وبالتالي لم يكن الوقت مناسباً للقيام بنشاط تبشيري⁽¹²⁾.

أما أهم الإرساليات التبشيرية التي كانت تتسابق في جنوب السودان لنشر المسيحية فهي:

❖ أ- الإرسالية الإيطالية الكاثوليكية:

وهي تابعة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وهي من أقدم الإرساليات التبشيرية في السودان عامة وجنوب السودان خاصة، بدأ نشاطها في فترة ما قبل الثورة المهدية، وقد أهلتها خبرتها السابقة ومكانتها المادية والبشرية الوفرة من إنشاء عدة مراكز تبشيرية في فترة وجيزة إذ أن المراكز التي أنشأتها في الفترة ما بين 1900م و 1910م في مديرية بحر الغزال وحدها بلغ خمس مراكز⁽¹³⁾ كما كان لها مراكز في فاشودة⁽¹⁴⁾ وأهم مراكزها نجد مركز تونجا الذي أسس سنة 1904م، ومركز لول سنة 1905م، ومركز بشرى سنة 1905م وكانت تتلقى الدعم المادي من معظم كاثوليك أوروبا مما جعلها أقوى الجمعيات التبشيرية في إفريقيا ومن أهم المبشرين الذين أسهموا في العمل التبشير فيها الأب دانيال كمبوني⁽¹⁵⁾ مؤسس مدارس كمبوني بالخرطوم⁽¹⁶⁾.

❖ ب- الإرسالية الأمريكية:

وقد ارتبط نشاطها بنشاط الكنيسة المسيحية المتحدة بأمريكا الشمالية وهي كنيسة البريسبيترين The Bresbyterian ونشاطها في مصر والسودان قد بدأ قبل الثورة المهدية، وبعد سقوط حكومة التعايشي، كانت الكنيسة الأمريكية على استعداد تام للعمل في السودان وقد تمكنت بعد تحديد مناطق النفوذ من فتح مراكز تبشير أهمها مركز تبشير جبل دوليب سنة 1899م ومركز تبشير الناصر سنة 1912م⁽¹⁷⁾ أما وسائل هذه الإرسالية فقد شملت الرحلات النيلية التي يتم فيها الاتصال والإرشاد المسيحي وتوزيع الكتب المسيحية، وطباعة الكتب المسيحية والآداب المسيحية وتوزيعها، كما ركزت على العمل وسط النساء مع تقديم ألوان من الدعم النفسي والفكري⁽¹⁸⁾.

❖ ج- الإرسالية الإنجليزية أو إرسالية غوردون:

وهي التي تزعمت حركة استغلال العاطفة الدينية والقومية لدى الشعب الإنجليزي والتي تولدت بعد مقتل غوردون⁽¹⁹⁾ في الخرطوم على اثر دخول المهدي للخرطوم⁽²⁰⁾ واستطاعت هذه الإرسالية فرض إرادتها على الحكومة بل كانت تسير السياسة البريطانية إلى حد ما في جنوب السودان، حيث كان الإداريين البريطانيون يولونها اهتماما خاصا في توزيع مناطق النفوذ وفي دعمها المادي، وبالرغم من

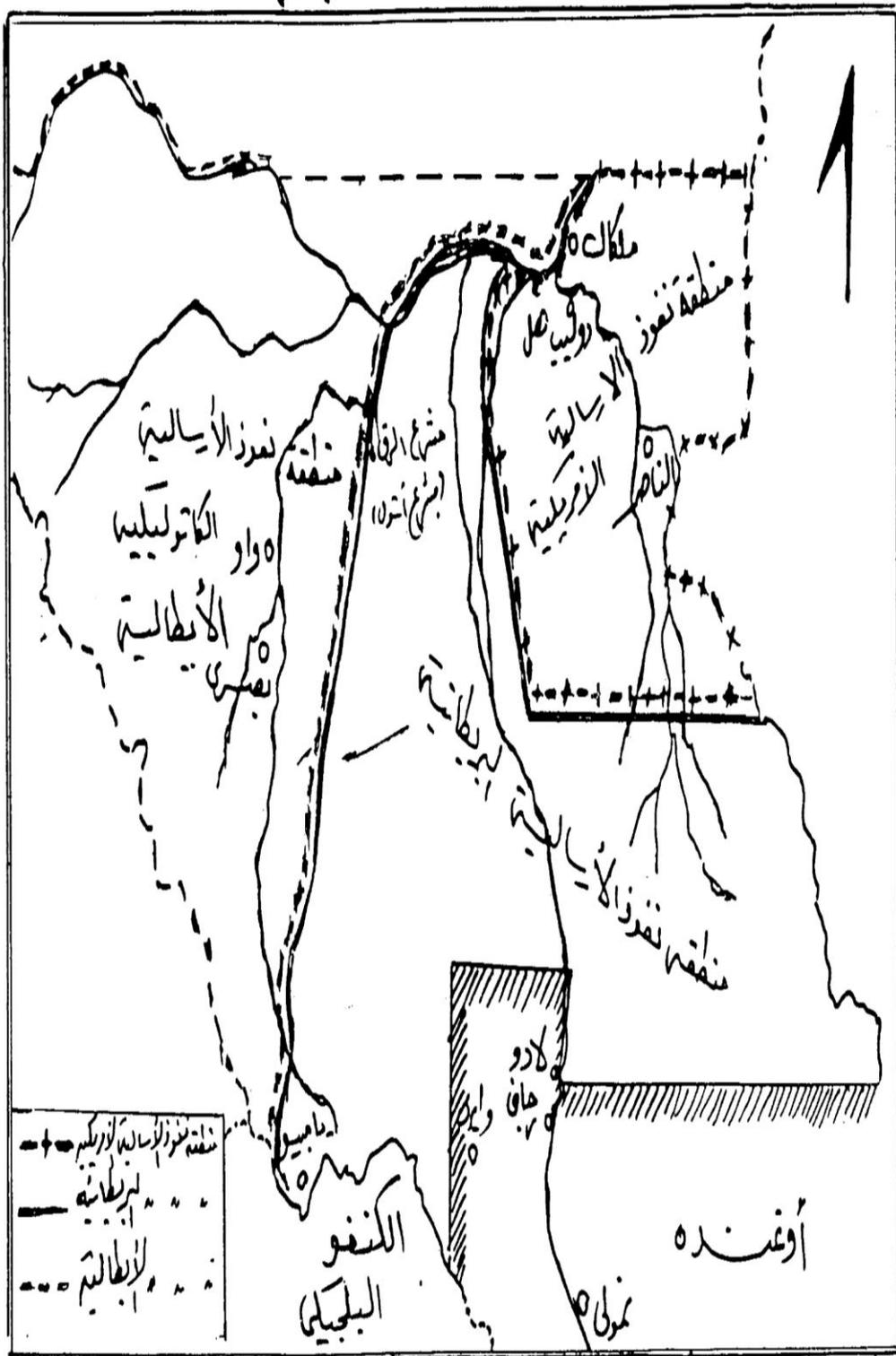
ذلك فإن نشاطها كان أقل بكثير من نشاط الإرساليات الإيطالية الأمريكية في جنوب السودان، ويعزى ذلك لانشغالها بالتبشير في شمال السودان ووسطه وفي جبال النوبة، ولم يدخل عملها في جنوب السودان إلا بعد سنة 1905م، وقد استطاعت الإرسالية الإنجليزية فتح عدة مراكز في مديرية أعالي النيل والمديرية الاستوائية ومديرية بحر الغزال، وبلغت في مجملها حتى سنة 1931م ثمانية عشر مركزاً⁽²¹⁾ ومن أشهر المبشرين الذين كانوا ضمنها الأب كيتشينغ الذي ألف كتاباً عن نشاطه سماه من الظلمات إلى النور، وكذا المبشر جويبي الذي مكث مدة طويلة في السودان وأوغندا وكتب العديد من المؤلفات يدعوا فيها البريطانيين إلى الإسراع إلى حنة إفريقيا⁽²²⁾.

❖ ت- الإرسالية السودانية المتحدة:

وهي إرسالية استرالية سمح لها في سنة 1913م بالعمل في مناطق ملوت وسط الدينكا الذين يقطنون في الجزء الشرقي للنيل الأبيض جنوب ملكال⁽²³⁾.

والخريطة التالي تبين مناطق نفوذ الإرساليات التبشيرية في جنوب السودان حتى سنة 1904م⁽²⁴⁾.

حدود مناطق نفوذ الإرساليات التبشيرية ١٩٠٤.



عملت هذه الإرساليات التبشيرية على تعميق الفصل بين الجنوب والشمال، وإمعانا في التفتيت كانت هذه الإرساليات من جنسيات مختلفة ومذاهب متعددة، ولكل منها منطقة نفوذ خاصة، وذلك حتى يتفكك الجنوب السوداني نفسه (25).

ومن ناحية أخرى فقد كان يسمح للإرساليات التبشيرية بممارسة أعمالها وواجباتها، رغم أن الأمن في الجنوب كان غير مستتب، ورغم ذلك فلقد مارس المسؤولون البريطانيون سياسة تقوم على اعتبار المسيحية بمثابة الدين الرسمي لسكان السودان ومنذ قرون عديدة، ولذلك فإن إعادة ضم السودان أتاح الفرصة لإعادة الوضع الديني إلى ما كان عليه سابقاً، وهذا إنما يعني بأن الكنائس سوف تنتشر من القاهرة إلى رأس الرجاء الصالح، ولقد ذهب بعض القادة الإنجليز في بريطانيا وحكام السودان الجدد إلى حد القول والممارسة بأن الإسلام وتعاليمه لا تصلح ولا تتماشى مع رفاهية وتطور الناس في السودان، ومن هنا زاد دعمهم للإرساليات، حيث قالوا "علينا أن ندعم دور الإرساليات التبشيرية في السودان وخاصة في الجنوب، لتأييد ودعم دورها الحضاري التربوي" (26).

نشطت الإرساليات التبشيرية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى في جنوب السودان، وقد استعمل المبشرون عدة طرق من أجل تحقيق غايتهم وأهدافهم، فكان التطبيب أي معالجة المرضى مجاناً في المستشفيات والمستوصفات من الوسائل التي اعتمدوا عليها لكسب الناس نحوهم، لذلك أنشأوا مستوصفاً على سبيل المثال في بلدة الناصر، وكان الأطباء لا يعالجون المريض إلا بعد الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح لذلك كان التطبيب والتنصير متلازمان (27) وقد ذكرت المبشرة البريطانية إبرا هاريس Ebra Harris في ذلك " يجب أن تنتهز الفرص لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتركز لهم بالإنجيل، إياك أن تضع التطبيب في المستشفيات والمستوصفات فإنه أئمن تلك الفرص على الإطلاق ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير، فلا تسمع منه" (28).

أما عن الكنائس فقد تم تأسيس كنيسة الجنوب سنة 1904م وكنيسة لير Leer وكنيسة واو وكنيسة كواجوك وكنيسة مبان أبون وهذا بالمديريات الخاصة بالدينكا (29).

بدأت الإدارة البريطانية في السودان منذ بداية الحرب العالمية الأولى بمحاولة كسب أبناء الشعب السوداني، ولذلك أعلن عدد من القادة السودانيين ولائهم للحكومة البريطانية، وساند المبشرون هذا المسعى وشاركوها جهودها في التعبئة، ومن جهة أخرى بدأ الحكام الإداريين منذ 1917م بتنفيذ سياسة وعلى مراحل من أجل إيجاد حالة من التباين الثقافي بين الشمال وجنوب السودان، لذلك قرروا جعل اللغة الإنجليزية لغة رسمية، ويوم الأحد عطلة رسمية، وكانت غايتهم في ذلك إنهاء حالة التواصل والعزلة بين الشمال والجنوب (30).

ولما قامت الحرب العالمية الأولى خشت الإدارة البريطانية من وجود المبشرين النمساويين والألمان فأمرت بخروجهم خوفاً على استقرار مناطق النفوذ الإنجليزي على الرغم من أن هؤلاء المبشرين لم يكن لهم أي نشاط

سياسي، فتم إغلاق عددا من الإرساليات، وخلال الحرب العالمية الثانية رأت بريطانيا ضرورة خروج مبشري الكنيسة الكاثوليكية من الإيطاليين لأسباب سياسية هي اتجاه إيطاليا للتحالف مع ألمانيا، فأغلقت كثير من الإرساليات الإيطالية⁽³¹⁾.

2- دور الإرساليات التبشيرية في التعليم بجنوب السودان:

نفذت الإدارة البريطانية سياسة الفصل بين الشمال والجنوب في مجال التعليم بترك إدارته للإرساليات التبشيرية، وتم تنفيذ سياسة تعليمية مختلفة تماماً في جنوب السودان⁽³²⁾ وشجعها على ذلك قلة مواردها المادية في ذلك الوقت، كما وفرت الإرساليات على الإدارة البريطانية كثيرا من الوقت في تنفيذ سياسة الفصل، إذ أن تلك الإرساليات مع اختلاف جنسياتها ومذاهبها كان لها هدف واحد وهو نشر المسيحية في جنوب السودان، بل جعلت بعضها كالكنيسة الإيطالية الكاثوليكية اعتناق المسيحية شرطا أساسيا للذين يودون الالتحاق بالمدارس التبشيرية، فقد كان الفصل الديني من العوامل الأساسية التي اتبعتها الإدارة البريطانية في تنفيذ سياسة الفصل بين الشمال والجنوب⁽³³⁾.

وقد قسم الجنوب إلى دوائر تبشيرية منحت كل جمعية من جمعيات الدول الأوروبية المختلفة دائرة نشاط لتعليم السودانيين هناك المسيحية على مذهبها، وقد أمرت الحكومة تلك الجمعيات بإنشاء الكنائس والمدارس لتعليم الأولاد تحت الموجهات التالية:

- الخطر الرئيسي في هذا الإقليم يأتي من خلق طبقة من المسلمين المتعلمين، وقد أصدر اجتماع التعليم بمديرية دنقلة أمرا بمنع استخدام اللغة العربية بأقصى ما يمكن.
- مطلوب تعليم عالي على نمط كلية غوردون التذكارية، على أن يكون دينيا مسيحيا ابتداء.
- تعليم أبناء الزعماء تعليما عاليا يتناسب والإدارة المطلوبة منهم لتطوير بلدهم.
- إنشاء مدارس محلية شبيهة بالمدارس الأولية (صغرى أو تحت الدرجة) للأولاد الصغار لتعليمهم القراءة والكتابة باللغات المحلية أو باللغة الإنجليزية إذا تعذر التعليم باللغات المحلية، وتأهيلهم ليكونوا كتبة ومترجمين ليكفوا حاجة الحكومة هناك لتستغني بهم عن الموظفين المسلمين والناطقين بالعربية، وأن يشمل المنهج على تعليم اللغة الإنجليزية، والحساب، والتاريخ والجغرافيا والزراعة والصناعات كصنع الحبال، ونسيج البساط، وتعليم النجارة والحداة والبناء والخياطة، وصناعة السلال، وهذا بهدف تخريج صناع مهرة⁽³⁴⁾.

وبالنسبة لمدارس تلك الإرساليات يقول عنها مدير بحر الغزال "" ولازال مدارس المرسلين النمساويين مفتوحة وناجحة في مناهجها وخاصة مدرسة كايانجو... وهذه المدارس عبارة عن مدارس تحضيرية أولية وصناعية، والصناعة التي تعلم فيها هي النجارة، أما في مدرسة مبيلي التي في بلاد الجور حيث يصنع الأهالي الحديد فإنهم عازمون على تعليم الحدادة لبضعة أولاد...""⁽³⁵⁾.

أما في مديرية أعلي النيل فقد بدأت مدارسها سنة 1901م، ويقول عنها مدير أعلي النيل "" إن المرسلين النمساويين يهتمون بتمدين الشلوك، وصقل ملكاتهم وطبائعهم وتحسين سلوكهم، وقد أضفوا إلى مراكزهم في طوبنجة عدة أبنية أكسبته جمالا رائعا، وهم يأتون على الأعمال النافعة المفيدة وبارعون في شأن الحدائق والبساتين""⁽³⁶⁾.

ويذكر الباحث عبد الحميد جنيدي في أطروحته أن المدارس في جنوب السودان قد قسمت على النحو الآتي:
أولا: مدارس القرى أو مدارس الغابة(الأحراش):

مدارس القرى هي مدارس المرحلة التمهيدية لدخول المدارس الأولية والدارسة فيها غير منتظمة والتلاميذ بها غير مقيدون بسن معين، ويُدرس فيها المبشرون أو المدرسون السودانيون الذين تم تنصيرهم وبعد أن حصلوا على شهادة تؤهلهم للتدريس في مدارس الأحراش⁽³⁷⁾ والمادة التي تدرس فيها هي تلقين مبادئ الإنجيل والإمام بالقراءة والكتابة، ولذلك كانت قائمة على أكبر وسائل نشر المسيحية لأنها تقوم بإعداد الطفل وتنشئته نشأة مسيحية حتى إذا ما انتهى من هذه المرحلة اعتبر مسيحيا وأخذ اسما مسيحيا بدلا من اسمه القبلي⁽³⁸⁾.

وقد اهتمت الإرساليات بوجه خاص بهذا النوع من التعليم الديني، وبلغ عدد مدارس هذه المرحلة سنة 1922م حوالي 260مدرسة، وارتفع عددها بشكل ملحوظ بعد سنة 1938م حيث بلغت 535مدرسة⁽³⁹⁾ وكان عدد التلاميذ يختلف من مدرسة إلى أخرى وكذلك الحال بالنسبة لمستواهم العلمي، وأفضل هذه المدارس تلك المدارس التي تعد تلاميذ قادرين على الاستمرار في المدرسة الأولية، وقد كان المبشرون الأوروبيون لا يرغبون التدريس بهذه المدارس لسوء الأحوال المناخية والظروف الطبيعية ولضالة المرتبات التي تمنحها الكنيسة لهم⁽⁴⁰⁾.

ثانيا: المدارس الأولية:

وهي المرحلة التي تلي مرحلة مدارس الأحراش، وغالبا ما توجد مدارسها داخل الكنيسة أو مركز التبشير وهي موزعة في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية، وفيها يتلقى التلاميذ دراسة منتظمة على أيدي مدرسين من

المبشرين الأوروبيين

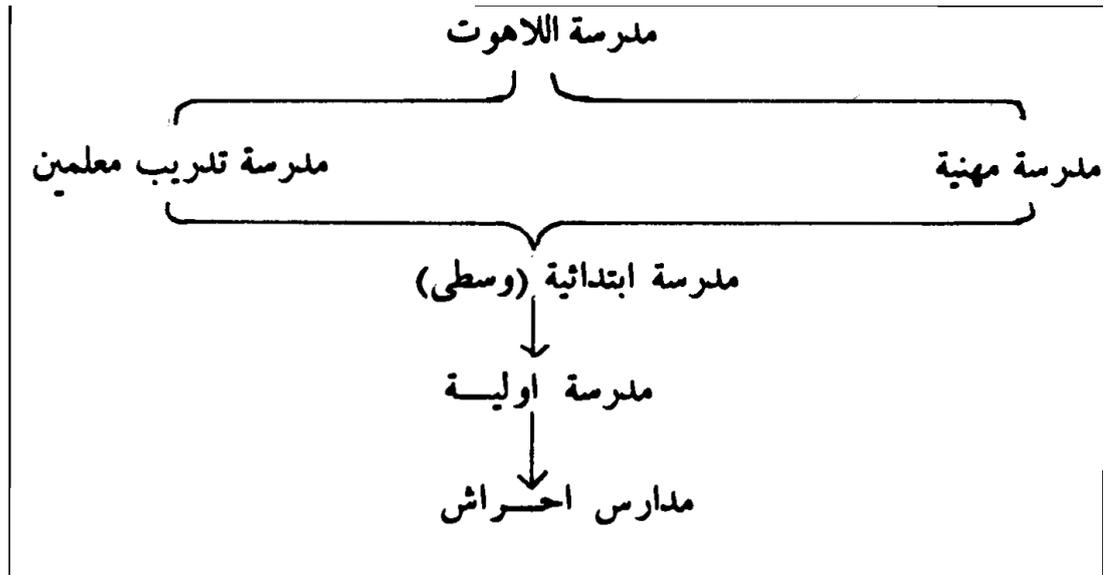
أو من الأفارقة⁽⁴¹⁾ مدة الدراسة بها أربع سنوات، يقوم بالأشراف عليها مبشر أو مبشرة إذا كانت مدرسة للبنات، والطلبة الذين يتعلمون في هذه المرحلة يحصلون على شهادة تؤهلهم إلى دخول المدارس الوسطى أو العمل كمدرسين في مدارس الأحرار أو الانخراط في السلك الكنسي أو العمل في دواوين الحكومة كسعاة أو مساعدي كتبة⁽⁴²⁾.

ثالثاً: المدارس الوسطى:

ومدة الدراسة فيها ست سنوات⁽⁴³⁾ حيث يتم تدريس جميع المواد باللغة الإنجليزية ماعدا الدين الذي يدرس باللهجات المحلية، أما البنات فكن يدرسن في مدارس القرى الابتدائية وكان الإقبال على تعليمهن ضعيفاً، مع أن المبشرين عملوا على تزويدهن بالمبادئ الأولية لعلوم الصحة والإرشاد المنزلي، وإلى جانب هذه المدارس الأكاديمية ظهرت المدارس الفنية التجارية والتي كان للإرسالية الكاثوليكية دور كبير في تطويرها مما جعلها تتميز بهذا العمل عن باقي الإرساليات⁽⁴⁴⁾.

ومنذ عام 1918م أشار بعض الإداريين البريطانيين في جنوب السودان إلى قصور وضعف نظام التعليم التبشيري ونادوا بضرورة تأسيس مدارس حكومية إلى جانب المدارس التبشيرية كشرط أساسي للتطور الاقتصادي في جنوب السودان إلا أن الحاكم العام لي ستاك صرح في تقريره في عام 1921م بأن التعليم الكنسي لن يستبدل بالتعليم الحكومي بل سينظم جزءاً من مدارس الجمعيات التبشيرية على أسس تستفيد منها الحكومة⁽⁴⁵⁾.

أما بالنسبة للجهاز الفني لمدارس الإرساليات فإنه ارتبط بسياسة كل كنيسة على حده وطريقتها وإمكانياتها لذلك فإن الكنيسة والمستوصف والمدرسة وحدة تبشيرية مكمل بعضها لبعض وتخضع لإشراف واحد وهذا الهيكل التنظيمي لتعليم الإرساليات يعطي فكرة عن التسلسل بالنسبة لإدارة مدارس التبشير، كما هو مبين في الشكل الآتي⁽⁴⁶⁾:



استمرت الشكوك تحوم نحو التعليم القائم في المديرية الجنوبية لأمد طويل قرابة العشرين سنة، منذ احتلال السودان، حتى رأت حكومة السودان أن تعطي الأمر عناية أكبر لأسباب لا تخلو من أن تكون سياسية، وبالرغم من ذلك واصلت الجهات التبشيرية نشاطها التعليمي في الجنوب ووضعت يدها عليه، رغم عدم وجود خطة تعليمية واضحة المعالم تسير عليها في هذه الجهات خاصة منطقة منقلا، حيث اجتمع كل من الكاثوليك ومجمع الكنائس لوضع خطة تعليمية مناسبة، إلا أنهم لم يدرين ماذا يفعلان لذلك ووضعا اقتراح لنقل النظام القائم في أوغندا نحو التعليم لتشابه الظروف والمشاكل في بعض الجمعيات التبشيرية، وبالرغم من ذلك فقد ظل الجانب التعليمي قليل التطور، إلا أن هذه التجربة فشلت بالرغم من تضافر جهود كل الجمعيات الكنائسية لإنجاح البرنامج التعليمي في المنطقة لأسباب منها:

• عدم وجود المنهج المحدد في التدريس والعمل بطريقة عشوائية.

• عدم وجود وسائل فعالة، وعدم الحضور المنتظم، وعدم وجود معلمين مدربين⁽⁴⁷⁾.

كان موقف السودانيون الجنوبيين خاصة القبائل من التعليم سواء أريد به تغييرهم أو تعليمهم موقفا عدائيا، إذ نظرت إليه على أنه شيء أجنبي أتى به من البيض ولذلك تشككت في بادئ الأمر من نوايا وأهداف الإرساليات التبشيرية، خاصة القبائل الرعوية الكبرى كالدينكا والنوير والشلك، وقد تمثل هذا الشك والعداء تجاه السياسة التعليمية في بداية الحكم الثنائي في إحجام تلاميذ القبائل عن الدخول إلى المدارس الأولية، وفي مديرية بحر الغزال وقف بعض السلاطين أمام التعليم الأجنبي ورفضوه صراحة وعلنا، وكان ذلك سببا في معاداة الإنجليز لهؤلاء السلاطين⁽⁴⁸⁾.

كانت هناك العديد من المشاكل والصعوبات التي واجهت المدارس التبشيرية في الجنوب أهمها:

- الشكوك والعداء من جانب القبائل الجنوبية.
 - تعدد اللغات.
 - ندرة المدرسين المدربين.
 - قلة الموارد المالية.
 - كما أن شيوخ القبائل كانوا يخشون من أن يؤدي التعليم المسيحي إلى تنشئة جيل يتعد عن تقاليد القبيلة والأسرة، ويؤدي إلى حرمان القبيلة من أبنائها، لذا كان معظم التلاميذ في مدارس المبشرين من أبناء الوطنيين الذين يخدمون الإرساليات أو من أبناء رؤساء القبائل الذين أرسلتهم الحكومة إلى مدارس المبشرين كرهائن، وقد ارتبطت المدارس في أول الأمر بمبادئ النوعين من الأحداث⁽⁴⁹⁾.
- إنه ومع نجاح التعليم الإرسالي في خلق طبقة من المتعلمين الجنوبيين قادوا فيما بعد الحركة السياسية الحديثة في الجنوب، إلا أنه عمق مشاعر العداء نحو الشمال وأفرز شعورا متبادلا بعدم الثقة بين متعلمي الشمال ومتعلمي الجنوب، كما أدى اختلاف المناهج واستخدام اللغة الإنجليزية لغة للتفاهم ووسيلة للتدريس إلى تخريج أجيال من سكان الجنوب تختلف اختلافا جوهريا عن مثيلاتها في الشمال، وإيجاد شقة بين أجزاء القطر، وبالرغم من التغيير الجذري في سياسة حكومة السودان الخاصة بالجنوب، إلا أن الفجوة التي تركتها السياسة التعليمية جعلت من الصعوبة بمكان للجنوب أن يلحق بالشمال، ولم تفلح في تمهيد الطريق لأبناء الجنوب حتى يشقوا طريقهم في سلم الترقى الاجتماعي مع نظرائهم الشماليين⁽⁵⁰⁾.
- استطاعت بريطانيا خلال هذه الفترة أن تنصب نفسها حامية لحقوق الجنوبيين، مستغلة خصوصياتهم الاجتماعية والثقافية، وتأجيجها تمهيدا لفصل الجنوب عن الشمال، وقد كانت الإرساليات التبشيرية وسيلتها في ذلك، فاستطاعت عن طريقها إنشاء العديد من المراكز التبشيرية، والتي عملت على تقديم الخدمات التعليمية والصحية ونشر مبادئ الدين المسيحي بين الأهالي، وإجبارهم على التخلي عن اللغة العربية واللغات القبلية المنتشرة مقابل الأخذ باللغة الإنجليزية تمهيدا لجعلها اللغة الرسمية، كما أدى النشاط التبشيري إلى تعرف المرأة الجنوبية على أسس القراءة والكتابة وخاصة مدارس القرى، وبذلك استهدف النشاط التبشيري زعزعة أركان المجتمع في جنوب السودان تمهيدا لتكريسه واقعا في المرحلة القادمة⁽⁵¹⁾ والتي رسمتها بريطانيا لمرحلة ما بعد استقلال السودان.
- إن نتائج جهود المدارس التبشيرية في التعليم بالجنوب أتت أكلها فقد تخرج من هذه المدارس المعلمون الأوائل والحرفيين، كما تخرج الكتبة والمحاسبون، كما أن جهود الكنيسة في محاربة الإسلام واللغة العربية قد أتت أكلها

في الجنوب، وبذلك استطاعت أن تنفذ السياسة البريطانية بأكمل وجهها، وخلقت كيانا يتخلف لما هو في شمال السودان.

الخاتمة

إن سياسة بريطانيا في خلق مشكلة جنوب السودان لم تأت من فراغ، فأسباب المشكلة كامنة في مجتمع جنوب السودان، ولكن بريطانيا عملت على تأجيحها وإذكاء نارها في وقت مبكر، لكي تمهد لانفصال شطري السودان شمال و جنوب، ولخلق شعبيين متباينين لغة ودينا، وحتى في الجنوب نفسه ميزت بين القبائل الكبيرة والصغيرة، وهذا تعمدًا لعدم استقرار هذا الإقليم لكي تزيد من فوارق الانفصال خاصة بين تلك القبائل التي لها جذور في الشمال محاولة استئصال هذه الجذور.

قاومت المجتمعات الجنوبية التقليدية محاولات التدمير لنظامها الاجتماعي غير أن محاولات فرض السيطرة البريطانية كانت أعلاها عنفا، ويبدو أن سبب ذلك ربما يكون رغبة الاستعمار البريطاني في قيادة التغيير الاجتماعي في الجنوب بسرعة أكبر بواسطة الحرب بدلا من ترك ذلك للأقناع والاقتناع والذي يأخذ زمنا أكبر، كما أن الاستعمار البريطاني كان في عجلة حيث دخل في استفزازات متعمدة للقبائل الجنوبية وجرها للحرب، وذلك حتى يحطم مؤسساتها التقليدية، سواء السياسية أو الدينية حتى يسمح ذلك بسهولة تقبلهم للمسيحية التي حشد لها الجمعيات والإرساليات التبشيرية.

ومع نجاح التعليم الإرسالي في خلق طبقة من المتعلمين الجنوبيين قادوا فيما بعد الحركة السياسية الحديثة في الجنوب، إلا انه عمق مشاعر العداة نحو الشمال، وأفرز شعورا متبادلا بعدم الثقة بين متعلمي الشمال ومتعلمي الجنوب، كما أدى اختلاف المناهج واستخدام اللغة الإنجليزية لغة للتفاهم ووسيلة للتدريس إلى تخريج أجيال من سكان الجنوب تختلف اختلافا جوهريا عن مثيلاتها في الشمال، وإيجاد شقة بين أجزاء البلد الواحد، وبالرغم من التغيير الجذري في سياسة الحكومة البريطانية الموجودة في السودان تجاه الجنوب، إلا أن الفجوة التي تركتها السياسة التعليمية جعلت من الصعوبة بمكان للجنوب أن يلحق بالشمال، ولم تفلح في تمهيد الطريق لأبناء الجنوب حتى يشقوا طريقهم في سلم الرقي الاجتماعي مع نظرائهم الشماليين، كما لم تساعد جهود الحكومة السودانية لأخذ المدارس التبشيرية والتركيز على الإسلام بدلا عن المسيحية وعلى اللغة العربية بدلا عن الإنجليزية .

- (1) - حسن ريكان خلف، الإرساليات التبشيرية في السودان 1914م-1964م، مجلة الملوية للدراسات الآتارية والتاريخية، المجلد 04، العدد 08، السنة الرابعة، العراق، 2017م، ص 145.
- (2) - طارق أحمد عثمان وعبد الوهاب الطيب البشير، مدخل لدراسة المسيحية في إفريقيا، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، السودان، 2003م، ص 26.
- (3) - حسن ريكان خلف، المرجع السابق، ص 145.
- (4) - جوهر موسى النهار المهيدات، السياسة البريطانية و أثرها في تكوين مشكلة جنوب السودان 1899م-1956م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة اليرموك، العراق، 2006م، ص 71.
- (5) - حسن ريكان خلف، المرجع السابق، ص 146.
- (6) - لم تسمح الإدارة البريطانية للإرساليات التبشيرية بالعمل في جنوب السودان في يادئ الأمر وذلك لعدة أسباب منها أن بعض الإرساليات لم تكن تتشرف برعاية الحكومة البريطانية، كما أن بريطانيا رأت ضرورة عدم اتخاذ أي خطوة تأجح فتيل الثورة في السودان من جديد، كما أن ارتكاب بعض الإرساليات لبعض الحماقات حال دون نشاطها، ضف إلى هذا كله عدم الاستقرار في الجنوب. أنظر: جوهر موسى النهار مهيدات، المرجع السابق، ص ص 74-75.
- (7) - نفسه، ص 147.
- (8) - السيد سمير عبد المقصود السيد، التعليم في عهد الحكم الثنائي في السودان من 1899م إلى 1924م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، 1990م، ص 93.
- (9) - رحاب عبد الرحمان أحمد، التدخل العلماني في جنوب السودان أهدافه وآثاره الفكرية دراسة تاريخية تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2010م، ص 37.
- (10) - عصام الدين أحمد عبد الله، مشكلة جنوب السودان صراع الهوية تحليل إعلان كوكادام 24 مارس 1986م، رسالة ماجستير غير منشورة، دراسات الإدارة العامة والحكم الاتحادي، جامعة الخرطوم، السودان، 2005م، ص 112.
- (11) - Mohamed Omer Beshir, *The Southern Sudan , Background Conflict* , Hurst and Co, London, 1968, p 21
- (12) - بهاء الدين مكاي محمد قبلي، تسوية النزاعات في السودان نيفاشا نموذجاً، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، السودان، 2006م، ص 168.
- (13) - فيصل محمد موسى، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان تحت الإدارة البريطانية، مجلة مركز البحوث والدراسات الإفريقية، العدد 01، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، 1985م، ص 74.
- (14) - محمود حسن أحمد خليل، دور الاستعمار والإرساليات التبشيرية في مشكلة جنوب السودان، مجلة الدراسات الدبلوماسية، معهد الدراسات الدبلوماسية، السودان، 1990م، ص 41.
- (15) - يرى القس جيوفاني فانيني أن حركة التبشير المسيحي في السودان عامة قد بدأت في منتصف القرن التاسع عشر، بواسطة إرساليات كاثوليكية وبروتستانتية من الكنيستين الإنجليزية والأسقفية، وفي حدود هذه الفترة بدأ العمل التبشيري في جنوب السودان، فأنشأ القس كنبلاخر النمساوي كنيسة في جوبا وسط قبيلة الباريا في قرية قندوكورو سنة 1805م وفي الفترة 1858م-1859م زار القس دانيال كمبوني السودان وأنشأ إرسالية في جنوب السودان، وقد استقر في منطقة الأبيض وتوفي بالخرطوم سنة 1881م. أنظر: قيصر موسى الزين، الأديان في جنوب السودان في سياق الدينامية الثقافية والسياسية، العدد، 70، مجلة دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، السودان، 2013م، ص 60.
- (16) - نائلة أحمد العطا، النشاط التنصيري والدعوي في السودان في الفترة من 1898م-1999م مع نموذج لدراسة النشاط وسط النازحين بولاية الخرطوم دراسة وصفية استطلاعية تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2001م، ص 29.
- (17) - فيصل محمد موسى، المرجع السابق، ص 74.

- (18)- حسن مكّي محمد أحمد، المشروع التنصيري في السودان 1843م-1986م دراسة تاريخية تحليلية عن الانتشار المسيحي ودور الإرساليات الأوروبية في تكييف السودان حضاريا وسياسيا، شعبة البحوث والنشر، السودان، 1991م، ص 42.
- (19)- استطاعت هذه الإرسالية أن تجمع مبلغ 3000 جنيه إسترليني لبدء عملها في السودان بعد هزيمة القوات المهديّة. أنظر: حسين الحاج علي وحمدي عبد الرحمان، المشهد السياسي في جنوب السودان ومخاطر النزاعات الانفصالية في العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، مصر، ص 22.
- (20)- حسن مكّي محمد أحمد، المرجع السابق، ص 32.
- (21)- فيصل محمد موسى، المرجع السابق، ص 74.
- (22)- نائلة أحمد العطا، المرجع السابق، ص 30.
- (23)- محمود حسن أحمد خليل، المرجع السابق، ص 41.
- (24)- فيصل محمد موسى، الجدور التاريخية لمشكلة جنوب السودان، مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، العدد 01، ليبيا، 1994م، ص 47.
- (25)- عبد العظيم الديب، جنوب السودان دراسة تاريخية، مجلة التريية، العدد 46، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، قطر، 1981م، ص 64.
- (26)- أحمد أبو سعدة، جنوب السودان وآفاق المستقبل، الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، 2011م، ص 19.
- (27)- حسن ريكان خلف، المرجع السابق، ص 149.
- (28)- Milligan, Facts and falks in our fields Abroad by Anna A.Milligan, philadolphia, 1921, P.P. 133-134.
- (29)- بيتر أتييم دينق، علاقة الدينكا بالأنظمة السياسية وحكومات الشمال في تاريخ السودان في الفترة من 1504م-1956م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين، السودان، 2005م، ص 56.
- (30)- حسن ريكان خلف، المرجع السابق، ص 151.
- (31)- زكي البحيري، مشكلة جنوب السودان بين الميراث التاريخي والتطورات السياسية 1955م-2011م، دار ركانز المعرف، مصر، 2010م، ص 61.
- (32)- Iris Seri-Hersch. Education in Colonial Sudan, 1900-1957. Spear Thomas. Oxford Research Encyclopaedia of African History, Oxford, 2017.p 07.
- (33)- فدوى عبد الرحمان علي طه، السودان في عهد الحكم الثنائي، دار الزهراء، السودان، 1997م، ص 50.
- (34)- الطيب أحمد حسن هارون، الآثار الثقافية والاجتماعية للأجانب في السودان 1899م-1956م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2005م، ص 54.
- (35)- السيد سمير عبد المقصود السيد، التعليم في عهد الحكم الثنائي في السودان من 1899م إلى 1924م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، 1990م، ص 106.
- (36)- نفسه، ص 107.
- (37)- عبد الحميد جندي، السياسة الاستعمارية البريطانية في السودان (1821م-1956م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2016م، ص 271.
- (38)- جوهر موسى النهار المهيدات، المرجع السابق، ص 85.
- (39)- السيد سمير عبد المقصود السيد، المرجع السابق، ص 115.
- (40)- نفسه.
- (41)- عبد الحميد جندي، المرجع السابق، ص 272.
- (42)- السيد سمير عبد المقصود السيد، المرجع السابق، ص 116.
- (43)- زكي البحيري، مشكلة جنوب السودان بين الميراث التاريخي والتطورات السياسية، المرجع السابق، ص 80.
- (44)- جوهر موسى النهار المهيدات، المرجع السابق، ص 85.

- (45)- عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص 275.
- (46)- فيصل محمد موسى، المرجع السابق، ص 83.
- (47)- آمال محمد بابكر، نشأة وتطور التعليم الفني في السودان في الفترة 1900م-1956م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 1988م، ص 89.
- (48)- السيد سمير عبد المقصود السيد، المرجع السابق، ص 116.
- (49)- آمال محمد بابكر، المرجع السابق، ص 119.
- (50)- فدوى عبد الرحمان علي طه، المرجع السابق، ص 64.
- (51)- جوهر موسى النهار المهيدات، المرجع السابق، ص 85.